الإعلام في المسيحية الباكرة

بقلم غسان خلف

محاضرة القيت في ندوة عن
الإعلام المسيحي في بيروت
في ١٩٩٦/١٢/٢

تعريف العنوان

يراد هنا بكلمة "الإعلام" الشكل الذي به أذاع المسيح وتلاميذه مضمون رسالة الله الخلاصية للإنسان، ويراد "بالمسيحية الباكرة" تلك الجماعة المسيحية التي عاشت في القرن الأول، من بدء خدمة رائدها يسوع المسيح إلى زمن إضطهاد دومتيان بين عام ٣٠م إلى ٩٦م. أي من بداية إعلان الرسالة المسيحية قولاً إلى نهاية إعلان الوحي كتابةً.

مقدمة

"الإعلام" عبارة معاصرة تقنية هي اليوم علم خاص ومجال إختصاص. إنه الأداة الأفعل للتأثير على الناس من طريق الحواس، ووسائله هي المواد المكتوبة: كالكتب والصحف. والمسموعة: كالإذاعات والمسجلات الصوتية. والمرئية: كالبرامج التلفزيونية وشبكات الكومبيوتر.

إن "الإعلام" مجاله الفكر، ومن يؤثر في فكر الناس ويغير الرأي العام، يحول المجتمع كله. لذلك هو أقوى سلطة في عالمنا المعاصر وأمضى سلاح. وهذه القوة إذا وضعت في يد الله والخير العام تبني الأوطان والمجتمعات البشرية وتصل بها إلى ذروة الإزدهار والسلام؛ أما إذا استولت عليها يد الشر والفساد فإنها تدمر البشرية قاطبة وتحول الأرض جحيماً. وجاء في الكتاب: "البر يرفع شان الأمة وعار الشعوب الخطيئة".

أما "الإعلام" في زمن المسيحية الباكرة فكانت الدول والشعوب والجماعات تمارسه إستنساباً وبالسليقة. ما كان الإعلام تقنياً مثلما هو عليه اليوم، ولا كانت وسائل نشر المعلومات مثلما هي في زماننا. كان الإعلام أبسط بكثير. كان في البدايات. إقتصر نشر المعرفة، آنئذ، على الكلمة المحكية، والكلمة المكتوبة، وكان عرض التمثيليات، أي الكلمة المشاهدة، في طور تعلم المشي.

استطراداً نقول إن موضوع "الإعلام في المسيحية الباكرة"، الذي نباشره الآن، هو موضوع إستقرائي. إنه محاولة لإستقراء الإجزاء التي تحوي إلماعات "إعلامية" والموزعة في كتب العهد الجديد، سعياً وراء صورة مكتملة لما كانت عليه وضعية الإعلام في المسيحية الباكرة. هذه هي المنهجية المثلى في مثل هذه الحالة. فالموضوعية تفرض لا قراءة العهد الجديد، نتاج القرن الأول، بنظارتين من نتاج القرن العشرين، بل ترك العهد الجديد ينطق بما فيه.

وفي المحصلة النهائية لهذه المطالعة لن توضع قواعد ونظم تحكم الممارسة الإعلامية المسيحية اليوم، بل المرتجى وقفة تأمل أمام المبادئ المستخلصة من ممارسة يسوع وتلاميذه والمسيحيين الأوائل.

خميرة القول أن الإعلام لفظ يراد به المبادرة بإبلاغ المعلومات عن حدث أو احداث معينة, أكثر منه انتظار السؤال عن هذه المعلومات لتقديمها؛ بذلك المعنى الأول الإبلاغي الإيمان المسيحي إيمان إعلامي. ان الإعلام إبلاغ عن حدث، والحدث جرى عندما كلمنا الله بابنه في ملء الزمان فصار الكلمة بشراً.

والمسيحيون منذ ذلك اليوم عاكفون على الإبلاغ عن هذا الحدث بكل وسائل الإعلام.

١ - وسائل الإعلام المسيحي في بدايات المسيحية

إقتصرت وسائل الإعلام المسيحية في القرن الاول على الوسيلتين المتاحتين في ذلك الزمن وهما نقل الأخبار السارة بالكلمة المنطوقة وبناء الكنيسة بالكلمة المكتوبة.

(١) الإعلام بالكلمة المنطوقة

يستعمل العهد الجديد عدداً من العبارات التي تفيد نقل الخبر من الطريق النطق. إن مطالعة بعض هذه الالعبارات وجوانب استعمالها يؤكد دور الإعلام بالكلمة المنطوقة في الكنيسة الباكرة. وأول هذه العبارات:

كلمة يبشّر evangelizo

وردت هذه الكلمة ومشتقاتها أكثر من مئة وثلاثين مرة في العهد الجديد, وهذا يدل على قيمة هذا المصطلح في التعبير عن إبلاغ خبر المسيح إلى العالم. الإخبار بالحدث، المسيح، هو بشارة. عمل الله الخلاصي بإبنه يسوع المسيح خبر سار! نبأ طيب!

جاء في لوقا٤: ٣٤ أن الجموع حاولت أن تبقي يسوع عندها فأجابهم: "ينبغي لي أن **أبشر** المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأني لهذا أُرسلت." ونقرأ في لوقا ٨: ١ أنه "كان يسير في مدينة وقرية ينادي **ويبشر** بملكوت الله."

وعندما أرسلَ يسوع تلاميذه لينادوا بملكوت الله، كتب لوقا: "فلما خرجوا كانوا يجوزون في كل قرية **يبشرون** ويشفون الناس في كل مكان" (٩: ٦). وورد في سفر الأعمال عن الذين شتتهم الضيق أنهم جالوا **يبشرون** بالكلمة (٨: ٤).

وبعد استشهاد استيفانوس وصل إلى إنطاكية قوم من المسيحيين الذين كانوا يخاطبون الوثنيين الناطقين باليونانية **ويبشروهم** بيسوع المسيح ... فآمن منهم عدد كبير ورجعوا إلى الرب (أع ١١: ١٩–٢١). وكان الرسول بولس يفتخر أن الله أنعم عليه بأن **يبشر** بين الامم بغنى المسيح الذي لا يستقصى (أف ٣: ٨).

والكلمة الثانية ينادي kyrisso

وردت هذه الكلمة ومشتقاتها نحو سبعين مرة في العهد الجديد، واستعمالها في قرائنها يدل على ابلاغ للأخبار أو البيانات بواسطة المناداة بصوت مرتفع. يدل على ذلك قول الرب يسوع: "ما أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذين تسمعونه في الأذن **نادوا** به على السطوح" (متى ١٠: ٢٧).

جاء في إنجيل مرقس ١: ٣٨ و٣٩: "فقال لهم يسوع لنذهب إلى القرى المجاورة **لاكرز**هناك أيضاً ... فكان **يكرز** في مجامع اليهود في الجليل". وفي عظة بطرس في بيت كرنيليوس قال عن يسوع: "وأوصانا أن **نكرز** للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات" (أع ١٠: ٤٢).

والكلمة الثالثة يشهد martireo

وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في العهد الجديد نحو مئة وخمسين مرة، ومعناها بحسب القرائن التي ترد فيها: الإبلاغ بالكلام عن امر تمت مشاهدته بالنظر او سماعه بالإذن. فلقد جاء في يوحنا ٣: ٣٢ عن يسوع الآتي من فوق: "ما رآه وسمعه به **يشهد**". وقال يوحنا عن ذاته: "والذي عاين **شهد** و**شهادته** حق" (يو ١٩: ٣٥).

وقال الرب يسوع أمام بيلاطس: "لهذا قد ولدت أنا ولهذا اتيت إلى العالم **لأشهد** للحق" (يو ١٨: ٣٧). وعندما أخبر بولس أغريباس عن خدمته قال: "وبقيت إلى هذا اليوم **شاهداً** للصغير والكبير" (أع ٢٦: ٢٢).

ويوحنا في بدء رسالته الأولى يقول: "الذي سمعناه ورأيناه بعيوننا وشاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا **ونشهد** ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١يو ١: ١ و٢).

والكلمة الرابعة يخبر anangello

وردت هذه الكلمة ثمانية عشر مرة في العهد الجديد وتفيد الإخبار بما يحدث من ظروف وأحداث في حياة المخبر.

نقرأ في أع ١٤: ٢٧: "ولما حضرا (بولس وبرنابا) جمعا الكنيسة (في إنطاكية) **وأخبرا** بكل ما صنع الله معهما وإنه فتح للامم الوثنية باب الإيمان".

ويذكر الرسول بولس هذه العبارة بقوله في أع ٢٠: ٢٠: "كيف لم اؤخر شيئا من الفوائد إلا **وأخبرتكم** به جهراً وفي كل بيت" وفي العدد ٢٧: "لأني لم اؤخر أن **أخبركم** بكل مشورة الله". وعن الروح القدس يقول الرب يسوع: "يأخذ مما لي **ويخبركم**" (يوحنا ١٦: ١٤).

ومن المرادفات لكلمة anangello كلمة apangello التي وردت أكثر من أربعين مرة في العهد الجديد، ومن معانيها الخاصة بالإعلام قول الرسول بولس في اع ٢٦:٢٠ بعد إهتدائه: "**أخبرت** أولاً الذين في

دمشق." ويقول يوحنا في رسالته الأولى ١: ٣: "الذي رأيناه وسمعناه **نخبركم** به". ومن المرادفات لها كلمة diangello وترجمت في لو ٩:٦٠: "أما أنت فاذهب **وناد** بملكوت الله." ومرادف آخر exangello وترجم: "لكي **تخبروا** بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط ٢: ٩). وثمة مرادف آخر هو katangello وترجم: "**ناديا** بكلمة الله في مجامع اليهود" (أع ١٣: ٥)، "كل مدينة **نادينا** فيها بكلمة الرب" (أع ١٥: ٣٦)، "هذا هو المسيح، يسوع الذي أنا **أنادي** لكم به" (أع ١٧: ٣)، "أتيت ليس ... بالحكمة **منادياً** لكم بشهادة الله" (١كو ٢: ١)، "الذين **ينادون** بالإنجيل من الإنجيل يعيشون" (١كو ٩: ١٤)، "المسيح ... الذي **ننادي** به منذرين كل إنسان" (كو ١: ٢٨).

والكلمة الخامسة يحدث، يتحدث diygeomai

جاء في لوقا ٨: ٣٩ : "أرجع إلى بيتك **وحدث** بكم صنع الله بك". ومن مرادفاتها exygeomai : "وكانوا يسمعون برنابا وبولس **يتحدثان** بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهما" (أع ١٥: ١٢).

والكلمة السادسة يتكلم، يخاطب laleo

هذه الكلمة وردت حوالى مئتين وثمانين مرة في العهد الجديد ومن معانيها الإعلامية: "**تكلما** حتى آمن جمهور كثير" (أع ١٤: ١)، "**يخاطبون** اليونانيين مبشرين بالرب" (أع ١١: ٢٠)، "أمنح عبيدك أن **يتكلموا** بكلامك بكل مجاهرة" (أع ٤: ٢٩). "حينئذ **خاطب** يسوع الجموع وتلاميذه" (متى ٢٣: ١)، "**نكلمكم** بإنجيل الله في جهاد" (١تس ٢: ٢).

والكلمة السابعة يقول، يتكلم lego

وردت هذه الكلمة مئات المرات في العهد الجديد وفي إستعمالها الإعلامي نجد الآيات التالية: "وفيما هو **يكلمهم** بهذا إبتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جداً" (لوقا ١١: ٥٣)، "ما سمعته من الآب فهذا **أقوله** للعالم" (يوحنا ٨: ٢٦)، "**يتكلم** عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع ١: ٣)، "إن كان عندكم كلمة وعظ للشعب **فقولوا**" (أع ١٣: ١٥)، "من له أذنان فليسمع ما **يقوله** الروح للكنائس" (رؤ ٢: ٧).

والكلمة الثامنة يعلِم، يعرف gnorizo

يقول يسوع: "**أعلمتكم** بكل ما سمعته من أبي" (يو ١٥: ١٥) "الكرازة بيسوع ... السر ... **اعلم** به جميع الأمم" (رو ١٦: ٢٦)، "**لأعلِم** جهاراً بسر الإنجيل" (أف ٦: ١٩)، "**عرفناكم** بقوة ربنا يسوع ومجيئه" (٢ بط ١: ١٦).

والكلمة التاسعة يعلم didasko

وردت هذه الكلمة مع مشتقاتها كثيرا في العهد الجديد، وهنا ما ورد منها متعلقاً بالإعلام:

في بدء موعظة الجبل: "فتح يسوع فاه **وعلمهم** قائلاً" (متى ٥: ٢)، "إنصرف يسوع من هناك **ليعلم** ويكرز في مدنهم" (متى١١: ١)، "وصار يسوع يطوف القرى المحيطة **يعلم**" (مرقس ٦: ٦)، "وكعادته كان أيضاً **يعلمهم**" (مرقس ١٠: ١)، "صار **يعلم** الجموع من السفينة" (لو ٥: ٣)، "**يعلم** ويسافر إلى أورشليم" (لوقا ١٣: ٢٢)، "**يعلم** الشعب في الهيكل" (لوقا ٢٠: ١). "ما أبتدأ يسوع يفعله **ويعلم** به" (أع ١: ١)، "في الهيكل وفي البيوت **معلمين** بأمر الرب يسوع" (أع ٥: ٤٢).

(٢) الإعلام بالكلمة المكتوبة

كان الإعلام بالكلمة المنطوقة يتوجه الى أهل الإيمان وغيرهم، أما الإعلام بالكلمة المكتوبة فيتوجه الى أهل الإيمان وحدهم مع أن غيرهم قد يقرأه ويفيد منه.

لقد كتبت كل أسفار كتاب العهد الجديد بل أسفار الكتاب المقدس كلها لشعب وأناس مؤمنين لأجل تعليمهم ومعالجة مشاكلهم وبناء حياتهم الروحية.

والبرهان على أهمية وفعالية الإعلام بالكلمة المكتوبة وجود أدب مسيحي مكتوب من عهد الكنيسة الباكرة أي كتب العهد الجديد، وهي الى اليوم الوسيلة الأبلغ "للإعلام" المسيحي في كل مكان. عدا عن ذلك نجد في سفر الرؤيا أمراً بالكتابة إلىالكنائس بفم الرب يسوع: يا يوحنا ما تراه أكتب في كتاب وأرسله إلى الكنائس السبع في آسيا (رؤيا ١).

(٣) الإعلام بالكلمة المعاشة

لم تعوز المسيحية الباكرة وسيلة إعلام مرئية. كانت فضائل المسيحيين ومواقف إيمانهم المشرفة أفضل وسيلة إعلامية مرئية لإيمانهم وسمو تعاليم مسيحهم. كانت الناس ترى في فضائل المسيحيين إنعكاساً لصفات المسيح، فكانت تعجب به وتأنس إلى أتباعه وتتحد بهم.

كان قرار ترنيمة الحياة المسيحية: من قال إنه مقيم فيه ينبغي أنه كما سلك يسوع كذلك يسلك هو (١يو ٢: ٦).

(٤) الإعلام في المسيحية واجب الجميع

الإعلام في المسيحية الباكرة كان واجباً يقوم به جميع المؤمنين. كان الإعلان عما حدث في حياتهم يجري تلقائياً مباشراً ينبع من فرحة اللقاء بالاله الحي. فقام به جميع الأفراد: الكبار والصغار، الأحرار والعبيد، الرجال والنساء. يحاول عالمنا اليوم اظهار نفسه تقدمياً متحضراً باشراكه المرأة في العمل والظهور

في وسائل الإعلام، لكنه في الواقع متأخر عن المسيحية في هذا المضمار. ذلك لأن المرأة في المسيحية الباكرة شاركت الرجل في إعلان الأخبار السارة. واشتركت النساء في تمويل خدمة يسوع التجوالية كما كن من أوائل الذين أعلنوا عن قيامة المسيح، ونلن الروح القدس يوم الخمسين كما الجميع وكن يتنبأن.

٢- صفات الإعلام المسيحي الباكر وتوجهاته

إن نظرة متعمقة لمحتوى أسفار العهد الجديد وما فيها من توجهات يكشف ماهية الفكر الإعلامي المسيحي ذلك الزمان وطبيعته.

إعلام تمهيدي

كان الإعلام المسيحي الباكر تمهيدياً أي أنه كان يستعمل للتمهيد لفكر أو نشاط أو حدث. فالعهد القديم بنبواته كان يمهد لمجيء المسيح المخلص. أمكن التأكد أن يسوع الناصري هو مسيح الله المنتظر من النبوءات التي سبقته ودلت عليه.

كذلك الرب يسوع إستعمل أسلوب التمهيد الإعلامي لخدمته. جاء في إنجيل لوقا: "وبعد ذلك أقام الرب إثنين وسبعين تلميذاً آخرين، **وأرسلهم** إثنين إثنين **يتقدمونه إلى كل مدينة وموضع كان يزمع الذهاب إليه**" (لوقا ١٠: ١)، وقال لهم: "وأية مدينة دخلتموها ... أشفوا مرضاهم وقولوا: **إقترب** منكم ملكوت الله" (لوقا ١٠: ٨).

إعلام ترويجي

إستعمل الرسول بولس جزءاً مهماً من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس للترويج لخدمة التبرع التي قام بها بين كنائس اليونان لدعم فقراء المؤمنين في أورشليم (راجع ٢كورنثوس ٨ و٩).

وكان لوقا يجتهد أن يبين لثاوفيلس، صاحب العزة، أن الإيمان بيسوع إنتشر بين أعداد كبيرة من اليهود والوثنيين. وكان يذكر تأثير الوعظ في الناس بالأرقام: **ثلاثة آلاف** يوم الخمسين وإرتفع العدد إلى **خمسة آلاف** (أعمال ٢ و٤). وبعد ذلك بعدة سنين يقول يعقوب، الأول في أورشليم، لبولس: "أنت تعرف أيها الأخ **كم ربوة** من اليهود آمنوا" (أع ٢١: ٢٠). وعندما وصل الذين هربوا من الضيق الذي أثاره إستشهاد إستفانوس إلى قبرص وإنطاكية كانوا يبشرون غير اليهود فآمن منهم **عدد كبير** ورجعوا إلى الرب (أع ١١: ٢١).

وحيث أن ثاوفيلس، صاحب العزة، كان ذا مقام رفيع في المجتمع اليوناني الروماني ـ ربما كان مقامه سياسياً او ذا منصب مدني في الحكومة المحلية ـ أخذ لوقا يجتهد في ما كتبه إليه أن يبرهن له أن السلطة الرومانية لا تعارض الإيمان المسيحي، وإن بولس كان كمبشر يتمتع بكامل حقوقه كمواطن روماني،

ويمارس التبشير بإسم المسيح. وكيف إنه عندما رغب شعبه في قتله رفع بولس دعواه إلى قيصر معترفاً بسلطته المدنية عليه.

وفي خاتمة كتابه أعمال الرسل يقول لوقا: "ومكث بولس سنتين كاملتين في بيت إستأجره لنفسه يستقبل جميع الذين يأتونه ويعلن ملكوت الله ويعلم بكل جرأة بشأن الرب يسوع المسيح. وما كان يمنعه أحد. كان ذلك في روما وبولس تحت حفظ جنود يتناوبون على حراسته.

وفي ذروة إضطهاد روما زمن دومتيان إنتشر كتاب رؤيا يوحنا. وكان كتابه إعلامياً ترويجياً خاطب المؤمنين عهدئذ ليقوي إيمانهم في الضيق والإضطهاد وليؤكد أن المنتصر في النهاية لن يكون روما وحكمها الوثني بل المسيح CHRISTUS VICTOR .

إعلام موضوعي

تتصف المعلومات الواردة في كتب العهد الجديد بالموضوعية، فليس فيها مبالغات غوغائية بل صراحة وشفافية، فلا تغطية لمساوئ ولا مواربة عن تقديم الصور الصحيحة، إلا ما تقتضيه أصول الكياسة والحس السليم.

لم يخفِ كتبة الإنجيل ضعفات تلاميذ المسيح مع أنهم كتبوا في مرحلة كان فيها التلاميذ في قيادة الجماعات المسيحية ولهم الكرامة والسلطان. فيظهرون على صفحات الإنجيل أنانيين يحبون المراكز الأولى قساة القلوب لا يفقهون بسرعة. يضربون بالسيف، يخافون، ينكرون السيد، وأحدهم يخونه بالمطلق ويسلمه إلى أعدائه.

وبولس الذي لم يرحم بطرس ولا برنابا في إنطاكية واتهمهما بالرياء، يقع في ما أتهم غيره به عندما وصل هو إلى أورشليم.

والتصرفات السيئة لبعض أعضاء الكنائس تذكر بصراحة كمثل ما ورد في كورنثوس وتسالونيكي.

وفي سفر الرؤيا من أصل سبع كنائس إثنتان فقط تنالان المدح من الرب، والخمس الباقيات ينالهن أشد التقريع. تُرى هل تتصف التقارير عن الكنائس اليوم بمثل هذه الصراحة؟

إعلام واع

رافقت الحكمة والمنطق السليم الإعلام المسيحي الباكر فراعى كل كاتب الخلفية الفكرية الدينية للذين نادى لهم بالبشارة أو كتب إليهم تعليماً.

فأسلوب بولس الرسول وخطابه في كرازته بين اليهود إختلف عنه في كرازته للوثنيين. يوضح ذلك المقارنة بين عظة له في مجمع اليهود في إنطاكية بسيدية (أع ١٣)، وعظة له في آريوس باغوس في أثينا (أع ١٧). بين اليهود كان بولس يبدأ بالآباء من إبراهيم إلى موسى حتى يصل إلى المسيح. لكنه بين الوثنيين

الذين لا يعرفون شيئاً من التراث اليهودي كان يبدأ من الله الخالق الواحد ثم يتدرج إلى عنايته ومحبته بالخليقة حتى يصل إلى المسيح المرسل من هذا الاله المحب لفداء الجنس البشري.

كذلك متى في إنجيله كان يخاطب جماعة من المسيحيين من أصل يهودي ليثبت إيمانهم بيسوع مبرهناً أنه المسيح المنتظر. فتميز أسلوبه من أسلوب لوقا الذي يخاطب ثاوفيلس ذا الخلفية الوثنية.

وثمة قرائن واضحة في نص العهد الجديد تشير إلى أن لقب "المسيح" الذي استعمل في الكرازة بين اليهود، أضحى إسم علم في الكرازة بين اليونانيين وأضيف إليه لقب "الرب" ليتشابه في مضمونه مع ما يفهمه اليهود من لقب "المسيح". وهذا الأمر أن دل على شيء فإنما يدل على وعي "إعلامي" لجعل الرسالة واضحة ومفهومة لكل من يسمعها.

إعلام محرر

يراد بهذه العبارة أن الإعلام المسيحي الباكر مارسه فكر تنقيحي غير بعيد عما يفعله محرر أي صحيفة أو مجلة اليوم. فأخبار الأحداث والمقالات يقع عليها قلم المحرر قبل نشرها، حيث تمر في مرحلة تنقيح وتعديل وتقويم وإعادة صياغة، فتمد القارئ بالأنباء أو خلاصات الأبحاث مع مراعاة عوامل عديدة شخصية ومعنوية منها سلامة الأفراد والأمن العام.

وتُرى ملامح تحرير عديدة في ثنايا كتب العهد الجديد وهذا من علامات الإعلام الواعي. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

الأمم والكلاب! في قصة شفاء إبنة الامرأة الكنعانية وردت عبارة تربط ظاهريا بين الكلاب والأمم، وهي مثار تساؤل إلى هذا اليوم. وترد هذه القصة فقط في إنجيلي متى ومرقس، حيث يبدو أن القراء يمكنهم أن يفهموا المعنى بلا تعثّر. فهل قال لوقا في نفسه: لماذا أربك مؤمنا جديداً أممياً بقصة مثل هذه قد يسيء فهم معناها؟ فأغفل ذكرها. هذه مهمة المحرر!

سيف أم إنقسام؟ قال الرب يسوع حسبما روى متى: "ما جئت لألقي على الأرض سلاما بل سيفاً" (متى ١٠: ٣٤)؛ غير أن لوقا لم يرغب أن يستعمل كلمة السيف المجازية لئلا يساء فهمها ففسر السيف بالإنقسام، فأدى المعنى المراد بلا التباس، وهذا عمل تحريري.

بطرس يضرب بالسيف! لماذا أغفلت الأناجيل المتشابهة النظرة إسم بطرس في حادثة قطع إذن خادم رئيس الكهنة بالسيف؟ ولماذا أورده يوحنا؟ هل رغب متى ومرقس ولوقا في حماية بطرس لئلا يطاله القانون وإن لاحقاً؟ وقد أصبح القائد البارز. أم هل رغبوا ألا يسيئوا إلى سمعته بإثارة مسألة قديمة قد لا يفهم معناها الأجيال الجديدة من المؤمنين المسيحيين؟

هل ذكر يوحنا إسم بطرس كضارب سيف ليؤكد للمؤمنين مدى غيرة بطرس على يسوع وإستعداده للدفاع عنه حتى بالسيف وتعريض سلامته الشخصية للخطر، بعد أن كانت الشائعات عن إنكاره ليسوع تؤذي

سمعته وتشكك في ولائه للرب؟ أن إغفال إسم أو إيراده والدافع لهذا العمل في ذهن الكاتب يندرج تحت عملية التحرير.

من الذي يحجز الآن؟ لماذا تجنب بولس ذكر من هو "الذي يحجز الآن" في رسالته الثانية إلى تسالونيكي (٢: ٧)؟ لم لم يسمه بصراحة؟ هل هو الروح القدس؟ لو كان الروح القدس لذكره بكل بساطة، فالإشارات الصريحة إلى شخصه وعمله تملأ الكتاب. هل هو أحد أباطرة الرومان؟ هل هو الأمبراطورية الرومانية بذاتها؟ يصبح هذا التفسير وارداً إذا إعتبرنا أن الرسول يريد أن يتجنب أي تسييس للبشارة وتجنب أي حافز يدفع الدولة إلى الإساءة إلى الكنائس.

من هي بابل؟ كذلك فعل يوحنا في سفر الرؤيا. كان يلجأ إلى المجاز ليتجنب أثاره الدولة الرومانية، فدل على روما باسم بابل (رؤ ١٦: ١٩ و١٨: ٢ و١٠)، وعلى أورشليم بإسم سدوم ومصر (رؤ ١١: ٨). وهذا كله يقع في باب التحرير.

كان الإعلام المسيحي الباكر يراقب عباراته، ويزن وقع أقواله على السامعين. ويحسب مسبقاً النتائج المترتبة على ما يعلنه وردود الأفعال. وهذا في رأيي أجدى العبر المستخلصة من درس "الإعلام" في العهد الجديد.

إعلام ملتزم

يتصف الإعلام المسيحي في العهد الجديد بالإلتزام. والإلتزام في العهد الجديد مثلوث: هو إلتزام بشخص المسيح، وإلتزام بالعقائد المسيحية، وإلتزام بالأخلاق المسيحية.

لتزم الكارزون والكتاب المسيحيون الأوائل بهذه الثلاثة بشكل عام. كانت الأساسيات في هذا الإلتزام المثلوث ثمينة لا يمكن التنازل عنها حتى الشهادة بالدم. أما الأمور التفصيلية بشأن هذه الإلتزامات فكانت على تنوع حتى في كتب العهد الجديد نفسه.

لقد قدم المسيحيون الأوائل الشهادة لإيمانهم بتنوع كبير من التعابير لكنهم حافظوا على الجوهر والمضمون دون أي مساس. ما كان إيمانهم ظرفياً ذرائعياً يتناسب مع كل حال بل ينزع إلى المطلق وإلى تغيير الأحوال. لذلك كان ينتشر في كل مكان ويقاوم في كل مكان. أن الخمر الجديدة حسب قول السيد تحتاج إلى أوعية من جلد جديدة وإلا فالأوعية تتلف والخمر تراق.

وكم حاول اليونانيون أن ينصحوا دعاة المسيحية الأوائل بأن يؤسسوا رسالتهم ودعوتهم على الحكمة والفلسفة، وكم حاول اليهود أن يركزوا على أن صحة المسيحية يجب أن تؤسس على قوة الآيات والمعجزات، لكن الرسل لم يتنازلوا عن "الكرازة الجاهلة" بالمسيح المصلوب. قال بولس: إذا كانت الكرازة بالمسيح مصلوباً تعتبر "جهالة" فجهالة الله أكثر حكمة من حكمة الناس وإذا كانت تعتبر "ضعفاً" فضعف الله أشد قوة من قوة الناس (١كو١: ٢٥).

أبقت المسيحية الباكرة على "عثرة" الصليب فبلغت رسالتها القرن العشرين وإنتشرت في كل المعمورة. وثمة تحذير هنا أنه إذا كانت مسيحية القرن العشرين والحادي والعشرين ستتنازل عن "عثرة" الصليب فهي إلى الإندثار. فلنحافظ على النشيد النيقاوي ذي الكلمات الخمس: تأنس، صلب، مات، دفن، قام.

خاتمة ـ ركيزة الإعلام في المسيحية

تعتبر المأمورية العظمى ركيزة "الإعلام" المسيحي ومحركه الدائم. فقبل الصعود مباشرة أوصى الرب المقام تلاميذه أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصاهم به (متى ٢٨: ١٩ -٢٠). وأية كنيسة تكون "الكنيسة" إذا تممت هذه الوصية للرب المقام الصاعد.

قال الرسول بولس لتيموثاوس: مهمتك كخادم للمسيح أن تكرز بالكلمة في وقت مناسب وغير مناسب (٢تي ٢: ٤).

وجاء في اعمال الرسل عن الرسل زمن الإضطهاد أنهم لما صلوا تزعزع المكان حيث كانوا وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بجرأة ومجاهرة (أع ٤: ٣١).

قال الدكتور شارل مالك في كتابه "المقدمة" في فصل حول الفلسفة الظاهرتية بما معناه: "أن الفرح الناتج من إكتشاف الجديد في قلب المكتشف لا يكتمل إلا باعلانه عن الإكتشاف الجديد. أن الفرح الكامل يأتي عند الإبلاغ الكامل عن سبب الفرح."

وقد لاحظت أن كلمت الدكتور مالك كانت الصدى لما قاله الرسول يوحنا: "أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون **فرحنا** كاملاً" [راجع النص اليوناني المحقق] (١يو ١: ٣ و٤).

المسيحية هي ديانة الفرح لأنها تملك البشارة، لكن الفرح فيها لا يكتمل إلا إذا أذاعت أخبار البشارة بكل وسائل الإعلام.